Journal of Arabic Language and Literature (JALSL) • Vol 2, Issue 6 (2023) • P: 81 - 68
https://journals.ajsrp.com/index.php/jalsl
ISSN: 2790-7317 (Online) • ISSN: 2790-7309 (Print)

The Village in Al-Ashmawi's Diwan of (The Basil Vendor)

Mrs. Mrwa Mokhtar Elgheity
College of Languages and Translation | Jeddah University | KSA

Received: 06/06/2023
Revised: 17/06/2023
Accepted: 07/09/2023
Published: 30/12/2023

* Corresponding author: mrmralgity123@gmail.com

Citation: Elgheity, M. M. (2023). The Village in Al-Ashmawi's Diwan of (The Basil Vendor). *Journal of Arabic Language Sciences and Literature, 2*(6), 68 – 81
https://doi.org/10.26389/AJSRP.W060623

2023 © AISRP • Arab Institute of Sciences & Research Publishing (AISRP), Palestine, all rights reserved.

• **Open Access**

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license

Abstract: The study sought to trace village landmarks in Abdurrahman Al-Ashmawi's Diwan of (The Basil Vendor) and aimed to learn about the village's features and its relationship with the poet's social life, its impact on himself and his conscience. It assumed a close association between the poet and his village (Araa). The study used the descriptive method; to open up to a limited cultural vision of the village that reflected the poet's experience. The researcher attempted in the first section to identify the village's features and their impact on the affiliation of the poet, and in the second section she came to know about the social life of the village, its aesthetic and semantic role, while in the third section she dealt with the impact of the village on the poet's life. The study has come up with some results, including the poet's preference for the village over the city, and the psychological attachment to it. The village has emerged as an affectionate and attractive place contrary to the city, which was a source of concern and insomnia. The research also recommended studying Ashmawy's literary production to enrich modern critical studies of contemporary Saudi poetry.

Keywords: village, Jabal Araa, basil, mud house, Saudi poetry, Ashmawi.

القرية في ديوان (بائعة الرَّيحان) للشَّاعر عبد الرَّحمن العشماوي

أ. مروة مختار الغيطي
كلِّيَّة اللُّغات والتَّرجمة | جامعة جدَّة | المملكة العربية السعودية

المستخلَص: سعت الدراسة إلى تتبُّع معالم القرية في ديوان (بائعة الرَّيحان) للشَّاعر عبد الرحمن العشماوي، وهدفت للوقوف على معالم القرية وعلاقتها بحياة الشاعر الاجتماعية، وتأثيرها على نفسه ووجدانه. وافترضت وجود ارتباط وثيق بين الشاعر وقريته (عراء)، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي؛ لتنفتح على رؤية ثقافية محدودة للقرية التي عكستها تجربة الشاعر. وقد حاولت الباحثة في المبحث الأول الوقوف على معالم القرية وأثرها في انتماء الشاعر، ووقفت في المبحث الثاني على الحياة الاجتماعية للقرية، ودورها الجمالي والدلالي، وتناولت في المبحث الثالث تأثير القرية على حياة الشاعر، وخلصت الدراسة إلى نتائج، منها تفضيل الشاعر للقرية على المدينة، ومدى الارتباط النفسي بها؛ فقد برزت القرية مكانًا حنونًا جاذبًا بخلاف المدينة التي شكَّلت مصدر قلق وأرق، كما أوصت الدراسة بالإقبال على دراسة الإنتاج الأدبي للعشماوي؛ إثراءً للدراسات النقدية الحديثة في الشعر السعودي المعاصر.

الكلمات المفتاحية: القرية، جبل عراء، الرَّيحان، البيت الطِّيني، الشِّعر السُّعودي، العشماوي.

المقدِّمة

الحمد لله الَّذي كرَّم الإنسان، وعلَّمه الحكمة والقرآن، وأنطقه بروائع الجمال والبيان، والصَّلاة والسَّلام على رسول الأنام صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه أجمعين.

لما كان الشعر العربي السعودي متميزًا بجودته بين النصوص الشعرية، وكانت القرية من العناصر المهمة التي شكَّلت جمال النص الأدبي؛ حيث مثَّلت حضورًا قويًّا في قصائد الشَّاعر عبد الرحمن العشماوي، وشهدت كثير من قصائده تعلقه وتأثره بها، فقد سعت الدراسة للوقوف على معالم القرية ومعالم ذلك التأثُّر؛ لذا قام البحث بالكشف عن الأبعاد النفسية المرتبطة بالقرية واستخراج دلالاتها المجتمعية.

وقد كان اتجاه الدراسة نحو تجربة الشاعر كاملة، وباستقراء الإصدارات الشعرية التي بلغت (23) ديوانًا، وهي الأعمال التي كوَّنت تجربته الشعرية منذ بداياتها حين أصدر ديوانه الأول (إلى أمتي) في عام (1400هـ)، ثم توالت إصدارته الشعرية حتى عام (1428هـ)، وجدت الباحثة أن الدواوين التي تناولت القرية تمثلت في ثلاثة دواوين، هي: (بائعة الريحان) الذي يضم خمس قصائد تعبِّر عن قريته (عراء) وعن حزنه عليها لما غزتها المدينة وسلبت نقاءها وصفاءها، وما تركته المدينة من آثار على نفوس البشر وعلاقاتهم الاجتماعية، والديوان الثاني (خارطة المدى) الذي ضم واحدًا وعشرين قصيدة، وكل قصيدة يذكر مدينة من مدن الوطن الحبيب، ومميزاتها وفضائلها، وأخيرًا ديوان (حليمة الصوت والصدى) ويحوي قصيدة واحدة تتغنى بأجواء القرية وذكريات الطفولة بقريته (عراء)، وجاء في اثنين وخمسين صفحة[1]، ولأن ديوان (بائعة الريحان) هو أغنى الدواوين بذكر القرية[2]؛ اتخذته الدراسة مادة تطبيقية لهذا البحث، الصادر عن مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية، (1415هـ).

وقع اختيار الباحثة على ديوان (بائعة الريحان) للعشماوي؛ لعدة أسباب، وهي: تميُّز قصائد الديوان بالجمال الفني في وصف القرية. وتسليط الضوء على سمات القرية الاجتماعية ودلالاتها الفنية والأدبية. بالإضافة إلى الرغبة في الكشف عن الأسرار النفسية المتخفية وراء القصائد وأثرها على الشاعر. والإسهام في إثراء الدراسات النقدية الحديثة التي تهتم بمعالم القرية في النص الشعري السعودي المعاصر.

أمَّا مشكلة الدِّراسة وفروضها، فقد افترضت الدراسة وجود ارتباط وثيق بين الشاعر وقريته (عراء)، وذلك من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية: كيف ظهرت معالم القرية في شعر عبد الرحمن العشماوي؟ وما مدى علاقة القرية وحياتها الاجتماعية بالشاعر؟ وكيف أثَّرت القرية في شعر العشماوي؟

وهدفت الدراسة لاكتشاف معالم القرية ودورها الجمالي والدلالي في القصائد، ولبيان الارتباط النفسي الوثيق بين الشاعر وقريته، إلى جانب تسليط الضوء على طبيعة حياة القرية الاجتماعية.

وتكمن أهمية الدراسة في تناولها لمعالم القرية السعودية، في شعر عبد الرحمن العشماوي، من خلال أحد دواوينه الذي تمثَّلت فيه معالم القرية وهو ديوان (بائعة الريحان) وظهرت فيه العلاقة بين القرية والإبداع الشعري، بما حملته من جماليات وسمات فنية.

وقد سعت الباحثة للوقوف على دراسة تتناول معالم القرية في شعر عبد الرحمن العشماوي، فوجدت بعض الدراسات التي عُنيت بتتبُّع النِّتاج الإبداعي عند العشماوي، ومن أبرز هذه الدراسات:

1- (تجربة عبد الرحمن العشماوي الشعرية)، فهد فريح الرشيدي، إشراف: د. طارق المجالي، رسالة ماجستير بجامعة مؤتة، (2009م)، وقد تناولت هذه الدراسة التجربة الشعريّة عند الشاعر عبد الرحمن العشماوي، وكشفت عن الرؤى والأفكار بشعره، وهي الدين والسياسة والمرأة، وحللت الدراسة البناء الفني واللغة الشعرية، وسائر المظاهر الأسلوبية (التناص، التكرار، الاستفهام، الحوار)، وحلَّلت كذلك الدراسة الصورة الفنية وأهم مصادرها وأنماطها المتعددة، ففتحت المجال لدراسة جوانب تستحق أن تدرس، وأوصت بدراستها، ومنها: المرأة واللغة الشعرية.

2- (الفضاء المتخيَّل في قصيدة بائعة الريحان لعبد الرحمن العشماوي: دراسة تحليلية نقدية)، مثيبة ماطر الهذلي، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة المنيا، العدد 84، مج 2، مصر، (2017م). القصيدة تحكي قصة عجوز مكافحة مع صعوبات الحياة، وقد تناولت هذه الدراسة الفضاء المتخيل بالدراسة التحليلية النقدية في القصيدة، فكان الفضاء المتخيَّل مشتملًا على الفضاء

(1) يُنظر: تجربة عبدالرحمن العشماوي الشعرية، فهد فريح الرشيدي، إشراف: د. طارق المجالي، رسالة ماجستير بجامعة مؤتة، (2009م)، ص: 11،15.

(2) لم تتناول الدراسة رواية (في وجدان القرية) واقتصرت على الدواوين الشعرية فقط؛ حرصًا على تصوير رؤية الشاعر من خلال شعره، فالشعر مجال العاطفة والشعور.

المكاني والزماني واللُّغوي وفضاء الهوية، ثم الانزياح الدلالي وما اشتمل عليه من الدلالات اللفظية والصور التشكيلية. واقتصرت هذه الدراسة على قصيدة واحدة فقط من قصائد ديوان (بائعة الريحان).

3- (رواية في وجدان القرية لعبدالرحمن العشماوي: الرسالة والبناء الفني)، فاطمة مستور المسعودي، (آفاق) حولية، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالشرقية، جامعة الأزهر، مصر، مج5، ع1، (1440هـ، 2018م). وهي دراسة تناولت الرواية الوحيدة للعشماوي بالدراسة والتحليل، وكانت قد اختارت قريته (عراء) مكانًا لتحرك الشخصيات والأحداث، في قالب أقرب ما يكون بالسيرة الذاتية للشاعر.

فالدراسات السابقة كانت تركِّز على النتاج الكلي لعمله، وتناولت التجربة الشعريّة للعشماوي، والفضاء المتخيَّل لقصيدته (بائعة الريحان)، وروايته (في وجدان القرية)؛ ولذلك سعت هذه الدراسة لإكمال الجهد النقدي الذي بُذل في تلك الدراسات، من خلال تتبُّع أثر القرية في ديوان (بائعة الريحان) وهو ما انفردت به عن بقية الدراسات.

واعتمدت هذه الدِّراسة على المنهج الوصفي، وتطبيق أدواته وإجراءاته من تحليل واستقصاء، حيث قامت الباحثة بدراسة وتحليل نماذج عامة من الإنتاج الشعري للعشماوي، وحاولت الوقوف على أبرز الخصائص الفنية والجمالية للقرية.

فاشتمل البحث على مقدِّمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة. تضمنت المقدمة أسباب اختيار الموضوع، ومشكلة الدراسة، وأهدافها وأهميتها، والدراسات السابقة، وفروض الدراسة ومنهجها وحدودها والإطار النظري العام لها. ووضَّح التمهيد مفهوم القرية، وعرَّف بالأديب الشاعر الدكتور عبد الرحمن العشماوي، بذكر نبذة قصيرة عنه، ورؤيته وموضوعاته الشعرية. ثم عُني المبحث الأول بوصف معالم القرية في شعر العشماوي. أما المبحث الثاني فكان عن الحياة الاجتماعية للقرية. وعرض المبحث الثالث تأثير القرية على حياة الشاعر. وجمعت الخاتمة أبرز النَّتائج والتَّوصيات التي توصَّل إليها البحث.

التَّمهيد

لقد تميز الشعر بأنه أسمى فنون القول الإنساني وأكثره تأثيرًا في النفوس، وهذا الفن يعمِّق الشعور بالتجربة الإنسانية بما يمتلكه من أسلوب جمالي؛ فقد مثَّل ديوان العرب وسجلهم الخالد، بما احتواه من تاريخهم ومآثرهم قرابة ألفي عام[3]. والشعر ديوان للإنسان كذلك، فهو يعادل الحياة، ويحقِّق الإحساس بكل شيء؛ ليُشعرنا باستمرارية الوجود، وهذا الأمر يصعب على معرفة أخرى أن تقوم به، فالشعر هو موسوعة الإنسان التي تدفع حياته دائمًا للأمام وتشبع حاجاته المعرفية والميتافيزيقية[4]، لأنَّ الشعر خَلْق لعالم كامل[5]. وقد اتخذ الشاعر العشماوي من شعره ديوانًا لحياته، أفصح فيه عن آلامه وآماله، وصوَّر فيه ذكرياته وتجاربه، مستمدًّا ملامحها من أيام طفولته وصباه في القرية.

والأمة العربية تقدِّر للشاعر قيمته، وتحفظ له منزلته في المجتمع، ومن نقَّادنا اليوم مَن يرى في الشاعر مثالًا للإنسان الخُلُقي لعصره، ليس لأنه يدعو للقيم السائدة المصطلَح عليها سابقًا، بل لأنه يبيِّن لمعاصريه مثالب ما يسيرون عليه، وفضائل الطريق المثالي التي يجنونها لو اتبعوا دعوة الشاعر[6].

والشعراء المعاصرون يهتمون بالقضايا الآنية التي تشغل الساحة، و"العصرية" في الشعر تطلب من جميع الشعراء الذين يعيشون بيننا بأن يكونوا عصريين، لأنهم أبناء هذا العصر. إن الجديد ليس بالضرورة دائمًا أن يكون عصريًّا؛ إلا في ظروف بعينها، لأن المعاصرة تعني فهم الشاعر لروح عصره، وقد يكون الشعر جديدًا في شكله إلا إنه يسري فيه نبض الشعر القديم وروحه، وقد يكون الشعر الجديد مجرد تقليد لا يتجاوز الظاهر للنماذج الجديدة الأصيلة، ولذلك فإن العلاقة بين الجدة والعصرية ينبغي أن تتناول في حذر شديد. والشاعر هو ابن لعصره في تمثيله، وصدق هذا التصوُّر يرتبط بمدى انهماكه في عصره ومعايشته لواقعه وتفهمه لروحه[7].

وإنَّ من السمات التي تجعل للشعر السعودي نكهة خاصة يتمكن من تمييزها الدارس المنقِّب، هي ظهور الروح الإسلامية فيه، وعدم ظهور ما يناقض العقيدة الإسلامية أو المثل والأخلاق، وكذلك تظهر فيه مخاطبة ما لا يعقل من ظواهر الطبيعة أو الجمادات، للتعبير عن عواطف الشعراء وما يجول بمشاعرهم في مخاطبة صامتة[8]، وقد شكَّلت القرية منبعًا لذكريات الشاعر الجميلة وحياته

(3) معالم الشعر السعودي المعاصر، عبد الله بن عبد العزيز بن إدريس، دارة الملك عبد العزيز، المجلد 4، العدد3، (1978م)، ص: 16.

(4) علم ما وراء الطبيعة.

(5) العبارة مقتبسة من آراء أدونيس حول وظيفة الشعر، في كتاب أسئلة الشعرية، د. عبد الله العشي، منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الأولى (1430هـ، 2009م)، ص: 221.

(6) المعجم الأدبي، نواف نصار، دار ورد للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، (2007م)، ص: 108.

(7) الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، د. عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، الطبعة الثالثة، ص: 10.

(8) معالم الشعر السعودي المعاصر، ص: 29.

الماضية السعيدة، وكانت قريته (عراء) مكان طفولته ولعبه في مراحل عمره الأولى، وقد أظهرت قصائده تضاريس القرية الجبلية التي ولد فيها، وقضى بها أجمل أيامه، فشكَّلت ذكريات جميلة يمكن أن تقدِّم صورة حقيقية صادقة وواقعية[9].

وقد ظهرت سمات القرية وأوصافها أكثر وضوحًا في ديوان (بائعة الريحان) لذا ركَّزت الدراسة عليه، في قصائده الخمس (مجالس الأمطار) و(يا ربى الباحة) و(الباحة اليوم لحن) و(بائعة الريحان) و(قريتي)، لتأخذنا القصائد الخمس في رحلة عبر المدى يرسمها الشاعر الفذّ لوحات طبيعية وصفية، مازجًا بين الحقيقة والخيال مشكِّلًا مشهدًا خلابًا بإيقاع شعري بديع.

مفهوم "القرية"

إنَّ للقرية علامات تدل عليها ولها آثارها التي تشتهر بها، فهي مكان من الأرض تتصل به الأبنية، ويستقر فيه جماعة من الناس[10]، والجذر اللُّغوي لكلمة القرية مأخوذ من "قَرِيَ" وهو يدل على جُمَعٍ واجْتِمَاعٍ، ولذلك سمِّيت "قَرْيَة" لاجتماع الناس فيها[11]، لأنها اسم للموضع الذي يجتمع الناس فيه، وقد يطلق اسم القرية على الناس أنفسهم[12]، وتعرَّف القَرْيَة بأنها: "المِصْر الجَامِع"[13] أي البلدة التي تجمع الناس.

والقرية في تعريف الدكتور شاكر مصطفى سليم هي: "مجموعة من المساكن تكوّن وحدة محلية صغيرة تشغل إقليمًا محددًا في الريف، وتعتمد في حياتها على الزراعة"[14].

الشاعر عبد الرحمن العشماوي

الشاعر والأستاذ الأكاديمي الدكتور عبد الرحمن صالح حسين العشماوي قامة من قامات الشعر السعودي المعاصر، وهو من الشعراء الذين جمعوا بين الأصالة والمعاصرة، كذلك عُرف بجمال إبداعه الشعري وغزارته، ويشهد بذلك حضوره ومشاركاته المتميزة في المحافل والملتقيات، وإنتاجه الأدبي، ولقاءاته الإذاعية والتلفازية وكتاباته الصحفية[15].

وُلِدَ عام (1956م) في قرية (عَراء)[16] بمنطقة الباحة بالمملكة العربية السعودية، فَقَدَ والده وهو صغير وقامت بتربيه والدته وجَدَّيْه لأمه، ثم أتم دراسته الثانوية في معهد الباحة العلمي، وحصل على الليسانس في اللغة العربية من جامعة الإمام محمد بن سعود، وفيها أكمل الماجستير والدكتوراه، وعمل بالتدريس في كلية اللغة العربية، وهناك التقى بالأدباء والنقاد وتكوَّن لديه شعور كبير بقيمة الكلمة الأدبية الراقية، وبأهمية رسالة الشاعر في الأمة، وكان رائد الشعر الإسلامي[17].

من مؤلفاته: (بلادنا والتميز) و(وقفة مع جورجي زيدان) و(علاقة الأدب بشخصية الأمة). ومن دواوينه الشعرية: (إلى أمتي) و(حوار فوق شراع الزمن) و(صراع مع النفس) و(قصائد إلى لبنان) و(إلى حوَّاء) و(عندما يعزف الرصاص) و(عناقيد الضياء) و(جولة في عربات الحزن)...

وقد مال الشاعر إلى الوسطية في كتاباته، واتجه أدبه اتجاهًا إسلاميًّا أصيلًا يعبِّر عن هموم الأمة ويدافع عن لغتها، فقد حمل الشاعر راية الشعر الإسلامي المعتدِل، يقول في إحدى قصائده:

ليسَ التزمُّتُ طبعًا في عقيدتنا ولا التَّحلُّلُ.. إنَّا نبتغي رشدا[18]

---

(9) فضاءات التذكر المكانية وأوجاع الذاكرة في قصة "راشا"، د. عبد الرزاق علا، إحالات العدد 2، ديسمبر (2018م)، ص: 106.

(10) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ط:2، (1972م)، ص: 732.

(11) معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،ج5، مادة (ق ر ى)، ص: 78.

(12) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بـ"الرَّاغب الأصفهاني"، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، مادة: (ق ر ي)، ص: 521.

(13) ينظر: القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ضبط وتوثيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، إشراف مكتبة البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (1424هـ،2003م)، مادة: "ق ر ي"، ص: 1191.

(14) التكنولوجيا وتأثيرها في المجتمع العراقي، دراسة أنثروبولوجية للتغيرات في قرية داوود الحسن في بغداد، م.م حسين خليل إبراهيم، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، (2020م)، ص: 284.

(15) قاموس الأدب العربي الحديث، إشراف وتحرير: د. حمدي السكوت، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (2015م)، ص: 441.

(16) إحدى قرى بني ظبيان بمحافظة الباحة.

(17) قاموس الأدب العربي، ص: 441.

(18) ديوان (بائعة الريحان)، ص:25.

واهتم كذلك بالقيم والمبادئ الاجتماعية، وتصوير قضايا الأمة الإسلامية وآمالها وآلامها، وزاوج بين القديم والحديث ونوَّع في القوافي، بامتلاكه موهبة شعرية قوية، وهو من الشعراء المحافظين المعتدلين، إنَّه خير مَن يمثِّل برؤيته الاعتدال الفكري في الشعر السعودي المعاصر، ذلك الاعتدال الذي يشكِّل علامة وطنية ربما يقل توفرها في الشعر العربي المعاصر[19].

المبحث الأوَّل: وصف معالم القرية في شعر العشماوي

تمثِّل القرية في شعر العشماوي سجلًّا زاخرًا بمعالمها، ولذلك حفل ديوانه بكثير من الأوصاف التي أحاطت بأهم المحطَّات المكوِّنة للقرية، وكانت روافد مهمة كشفت عن الشاعر ومجتمعه ومعالم المكان الذي ينتمي إليه، فقد نشأ الشاعر في أكناف قرية (عراء) ومناخها المعتدل الجميل، وحياتها الطبيعية اللطيفة، بواحات زهورها الباسمات، وعطر ثراها الأخضر النَّديّ[20]، إنَّ مكان النشأة في الطفولة لصيق بالنفس والذاكرة والحلم، الشاعر يعود إلى ذاكرته القديمة وسيتثمرها في إغناء النص، بدءًا بمجالس الأمطار والجبال والمساكن...[21] وترتسم آيات الجمال المهر في أبهى حلَّة، حين يتوسَّط القمر بنوره، بعد الشمس وضيائها في سماء القرية، في حالة فرح وحبور واحتفاء بأيام سعيدة، يقول الشاعر في مطلع قصيدة (مجالس الأمطار):

حدِّثيني عن رحلةِ الأقمارِ وعنِ اللَّيلِ يحتفي بالنَّهارِ
حدِّثيني عن الجبالِ، ذُراها تنمحُ الغيمَ نظرةَ استكبارِ[22]

ويظهر انتماء الشاعر لقريته في توقه لجبالها المعانقة للغيوم، وهو توق دائم إليها، وشوق لها ولطبيعتها الجبلية الخلابة، إنه يهوى كل بقعة منها، ويوثق جبالها وروابيها، والتلال والوديان فيها، يقول:

ألمحُ "الطَّفَّةَ" يسقيها الهوى فتناجي بهواها "شَهَبَهْ"
وأرى "حُزْنَةَ" يُلقي نَظْرةً والروابي حولَهُ مُنْتَقِبَهْ
و"شَدَا" ينصبُ من قامتهِ مَعْلَمًا ترنو إليهِ العَقَبَهْ[23]

فالشاعر ذكر أسماء جبال وأماكن في منطقة الباحة، وهي: (الطَّفَّة) (شَهَبَة) (حُزْنَة) (شَدَا)، ويضيف إليها في بقية الأبيات فيقول:

وأرى "دوسًا" على جبهتها كتَبَ التاريخُ ما قد كتَبَهْ
يا رُبى الباحةِ ما زال الصِّبا فيكِ غضًّا فأجيبي طلبَهْ
وأعيدي للفتى أيَّامَهُ في "حِمَى ظَبيانَ" أو في "الشُّطُبَهْ"[24]

إن الشاعر يجدِّد حبه لتلك الأماكن بترديد أسمائها: (دَوْس) و(حِمَى ظبيان) و(الشُّطُبَة) ليعبِّر عن شوقه للزمان والمكان القديم، ليستعيد ذكريات الصبا برسم لوحة بانورامية لكل تلك الأماكن، في بناء صوريّ لمنطقته الحبيبة بالكلمات والأبيات.

وتستعيد ذاكرة الشاعر الحالمة صور بيوت القرية الطينية، والطرق والأزقة غير المعبَّدة أو الممهَّدة[25]، وصورة الحياة الخالية من التكنولوجيا التي لا تشتمل على الوسائل الحديثة التي يستعملها الإنسان اليوم، كالتلفاز وغيره، التي لم يكن لها وجود في القرية، يقول الشاعر:

ما كانَ في قريتنا "تِلفاز"..
ولم تكنْ تهمُّنا الإذاعهْ..[26]

أو أي شيء حديث جاء مع حياة المدنيَّة الجديدة.

وكان مصدر المياه في القرية هو الآبار، والنساء هن اللاتي يقمن بجلب الماء في القِربة، على ظهورهن في غسق الصباح:

نساء قريتي.. يسبقْنَ ضوء الفجرِ..
عندَ منبع المياهْ.. ويا لهنَّ من نساءْ..

(19) في الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية، د. عبد الله الحامد العلي الحامد، الرياض، ط: 1، (1402هـ)، ص:166.

(20) ديوان (بائعة الريحان)، الشاعر الدكتور عبد الرحمن العشماوي، مكتبة العبيكان، ط:2، (1415هـ)، ص:10.

(21) ديوان (بائعة الريحان)، ص: 9.

(22) المصدر السابق، ص: 9.

(23) نفسه، ص: 16.

(24) المصدر السابق، ص: 17.

(25) نفسه، ص: 44.

(26) نفسه، ص: 44.

على ظهورهنَّ.. ترقصُ القِرَبْ"[27]

ويكثر الشاعر من استخدام مفردات "النور، الضياء، الماء، الدمعة، المطر، الندى، الغيث..." وهي تكشف عن شفافية توحي بعاطفة راقية سامية[28]، من ذلك قوله:

أبنية... يقال لها "مدينة"
الغيثُ يعشقها فيسقيها المطر
والبرق يختلسُ النظر
والرعد يروي عن صبابتِها... الخبر
والليل يُلقي لونَه في هُدَبِ عينيها
ولون الهدب أحلك
والفجر يُبصرُ نفسَه في وجهها... فيظلُّ يضحك
والورد يُهَت حين يلمح خدَّها... فيكاد يهلك!
والرملُ يرقص تحت رجلها... ويلهو[29]

في الأبيات مفردات تحيل إلى نقاء وشفافية لونية كـ"الغيث، المطر، البرق، الفجر" لتتشكَّل أجواء القرية من ألوان شفافة هادئة، توحي بالحب النقي الذي يحمله الشاعر في قلبه لتلك الأماكن. إن ذكريات الزمان والمكان بديل الحب للإنسان عندما يكبر، وما العيش إلا الذكريات[30]، التي استخدمها الشاعر في وصف قريته كوسيلة لإظهار معالمها، واستحضار الأماكن والبيوت والمزارع فيها وما يراه من حُسن الطبيعة، وروضها الغنَّاء، وظلال الأشجار والأفياء، فعبّر بها عن رؤية إنسانية أخلاقية اجتماعية؛ ليسلّط الضوء على حياة أحبها في صغره.

كل تلك الصور كان لها أثر بعيد في إبداع الشاعر، ليتغنى شعرًا بقريته، والتغني بحب الطبيعة ووصفها، وتأكيد علاقة الإنسان بها ومشاعره تجاهها من خصائص الرومانتيكية في الأدب[31]، وبما أن الشاعر محافظ على ديباجة القصيدة العربية، سائر على نهج العرب الأوائل[32] في شكل قصائده، فيمكن تصنيفه في روَّاد المدرسة الرومانسية، حيث نظم قصائده في عدة مناسبات، باح فيها بوجدانه وعبَّر عن ذاته وقيمه[33].

المبحث الثَّاني: السِّمات الاجتماعية للقرية

إن الأدب لا ينحصر في ذات صاحبه ولا ينعزل عن واقعه، بل يرسم لوحة حسَّاسة يلوِّنها الأديب بظلال يُوحي إليه بها ما يحيط به من مؤثرات في الحياة التي يحياها[34]، والأديب ابن بيئته يتأثر بها ويؤثر فيها، فيعبر عن أمته وهمومها، والإبداع الأدبي لشاعرنا يفيض بالمشاعر الصادقة التي تحقق تفاعلًا بين الأدب والمجتمع وتبني علاقات متينة في ظل الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تعيشها أمته[35]، والفرد دائمًا ما يبحث عن جماعة للانتماء إليها، وغالبًا ما يكون تفكيره مشابهًا لتفكير تلك الجماعة التي ينتمي إليها، وقد ظهر وقع تلك العواطف الجماعية على الشعراء، فالظروف الاجتماعية تكوِّن عواطف جماعية[36]، تجلَّى وقعها فيما ظهر من ارتباط بين القرية والعادات الاجتماعية وسلوك الأفراد بها في القصائد، فحين يخبر الشاعر عن قريته أنها:

تعيشُ في أمان..
تواجهُ الحياةَ..

(27) نفسه، ص: 52.
(28) تجربة عبد الرحمن العشماوي، مرجع سابق، ص: 105.
(29) ديوان (حليمة والصوت والصدى)، ص: 23،24.
(30) قراءة في فلسفة الحب عند الشيخ علي الطنطاوي، أحمد علي آل مريّع، دار المنارة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، جدة، الطبعة الثانية (2009م)، ص: 49.
(31) المعجم الأدبي، نواف نصار، دار ورد للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، (2007م)، ص: 139.
(32) ينظر: المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، د. عبد الله الطيب، الجزء الأول، ص: 60.
(33) الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية، د. بكري شيخ أمين، مطابع دار صائد، بيروت، ط:2، (1978م)، ص: 387.
(34) التفاعل بين الأدب والمجتمع، ص: 77.
(35) المرجع السابق، ص:78.
(36) سجون نختار أن نحيا فيها، دوريس ليسنج، تر: سهير صبري، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، (1440هـ، 2019م) ص: 68.

بابتسامةِ الأملْ[37]

وتدين بالتوحيد لله، وهذا هو ما تلقَّاه في نشأته بها:

في رباها عرفتُ معنى يقيني ووﻻئي للواحدِ القهَّارِ[38]

عند زيتُونِها ترعرعَ شعري ونمَتْ همَّتي وعزَّ اصطباري[39]

وعقيدة الإيمان هي التي جعلت أهل القرية يصبرون ويقنعون بحياتهم التي تميِّزها البساطة، وتتماشى مع طبيعتهم الراضية باليسير، يقول الشاعر في قصيدة (بائعة الريحان) على لسانها وهي تصف بيتها المتواضع:

ما عرفتْ جدرانُه الدِّهانْ..

وأرضه.. لم تعرف المفارشَ الوثيرَهْ

ما كان في منزلنا "كَنَبْ"..

ولم يكنْ في غُرفتي سريرُ..

وأين غرفتي؟ كشوكةٍ.. في حَلْقِ بيتنا الصغير

ولم تكن إذا أتى الشتاء تحرمنا من لذَّة المطرْ[40]

وبيوت أهل القرية لا تعرف الرفاهية فهي لا يوجد بها دهان وألوان جدران إنما كان "طِلَاء الجدران من الداخل بالطين والتبن، وأمَّا تلوين الجزء الأسفل من الجدران بالبرسيم الذي يُدقُّ ويُعجَن ويُصنَع منه مثل الدّهان الأخضر"[41]، ولم يكن في بيوتهم "الكَنَب" ولا "السَّرير" ولا "المفارش الوثيرة" الفارهة الغالية وإنما الفرش المعتاد عندهم، ولم تكن تلك البيوت الصغيرة المتهالكة تحميهم من المطر في فصل الشتاء، بل إنها تمكِّن ساكنيها من الاستمتاع والفرح بالمطر داخل البيت لذلك نعموا فيه بالسعادة والراحة[42]:

لكنَّ بيتنا..

بالرّغم من مظهرِه الحقير..

لم يعرف الشقاءْ..

وربما.. لأنه لم يعرِف الثَّراء[43]

ويقول في قصيدة (صورة من حياة القرية):

في بيتنا المبنيّ من حجرٍ وطينْ.

كنَّا ننامُ على الحصيرْ

ونخيطُ من أحلامنا ثوبَ الحبورْ.

ونمدُّ بين قلوبنا أقوى الجسورْ

كنَّا نصوغ مساءنا شوقًا وأنغامًا ونورْ

حتى إذا رفعَ الصباحُ يدَ السُّفور

سعِدَتْ به آذانُنا شدْوًا.. تردِّده الطيورْ[44]

فرغم رقة حال أسرته وعيشهم الزهيد وفرشهم المتواضع في بيتهم الطيني، إلا إنهم يعيشون سعادة غامرة وسكينة هانئة في ترابط وتآلف[45]، فمع كل صباح مشرق يولد فرح تسعد به النفوس، وشدْو طيور تهنأ به القلوب قبل الآذان، يقول:

يا قريتي، كل المعالم فيكِ تجذبني إليكِ

(37) ديوان (بائعة الريحان)، ص: 28.

(38) المصدر السابق، ص: 11.

(39) نفسه، ص: 12.

(40) المصدر السابق، ص: 40.

(41) نفسه، ص: 60.

(42) من الشعراء الذين تناولوا موضوع القرية في أشعارهم، الشاعر المصري محمود حسن إسماعيل في ديوانه (أغاني الكوخ)، ولكن الباحثة اقتصرت هنا على موضوع القرية عند العشماوي ولم تتجاوزه إلى غيره من الشعراء.

(43) ديوان (بائعة الريحان)، ص: 40، 42.

(44) ديوان (حليمة والصوت والصدى)، ص: 9، 10.

(45) عبد الرحمن العشماوي واتجاهاته الشعرية، د. فاطمة البيومي محمود سلامة، مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة، المجلد الثالث، العدد32، 2013م، ص: 483.

وتزيدني خوفًا عليكِ
في مقلتيكِ يلوحُ نور الذكريات الماضية
في وجهك الميمون نهر من سعادتنا وعين جارية
في كلِّ شبرٍ منكِ أحلام وذكرى غالية
يا قريتي لا تقطعي حبل الوداد
ولا تفرّي من مآثرنا الجميلة
كوني برغم مظاهر الزيف الخميلة
كوني شفاء القلب من سقم
وبلسم روح أحلامي العليلة[46]

إنه هروب من صخب المدينة وزيف مظاهرها الخادعة إلى قريته بمآثرها التي عشقها[47]؛ لتكون شفاء قلبه وروح أحلامه، ويذكر الشاعر أنه يحب جديتها وعملها الدؤوب بقوله: "**في صوتها نغم.. وفي حركاتها معنى العمل**"[48].

أما عن أخلاق نساء أهل القرية، فقد مثَّل لهن الشاعر، بما تحمله بائعة الريحان من صفات بقوله:

بائعة الريحان.. رواية.. لا تعرفُ المِرَاء..
لا تعرفُ التزلُّفَ المَشينَ والرياء..
تقول ما تشاء..
وربما.. يُلْجِمُها الحياءُ..
فتلزَم السكوتْ[49]

إنهن نساء يتمتعن بقدر كبير من الحياء والخجل، لا يعرفن النفاق ولا الرياء، وطبيعة ملابسهن يغلب عليها الستر ويلبسن الحجاب، تقول: "**رَدَدْتُ فوقَ وجهيَ الحجاب**"[50]، "**شراشف النساء**"[51]. وهن عفيفات طاهرات "**وما لهُنَّ في المجونِ.. مِن أَرَبْ**"[52]، متأدبات بأخلاق عالية كريمة، بعيدات عن السفور والابتذال.

وبعد ذلك يصف الشاعر الزوجة الوفية، كما أخبرت بائعة الريحان عن حالها مع زوجها:

منحتُه عنايتي.. وحبِّي الكبير..
أغضُّ طرفي إنْ قسا أو ثار في غضب..
وربما يضربني.. لا أعرف السبب..
فألزمُ السكوت..
وإنَّما السكوتُ من ذهبْ[53]

هنا تصوير لأخلاق المرأة واحترامها وخضوعها أمام الرجل، وترسيخ لوضع المرأة في المجتمع قديمًا، و"نساء القرية لم يكنّ عاطلات أبدًا، عمل المنزل.. الحياكة.. حلب الأبقار.. العمل في المزارع.. جلب الماء من الآبار على ظهورهن، كل ذلك كنَّ يقمن به خير قيام"[54] وهذا ما يوحي بأن قريتهم كانت حافلة بالعاملين والعاملات كلٌّ في مجاله المعهود[55]، والمرأة تتحمَّل أعباء حياتية ولم تعش رفاهيةً أو فراغًا أبدًا.

وكان لعادات وسلوكيات أهل القرية تأثير على البيئة الاجتماعية، فقد حافظت القرية على العلاقات الاجتماعية القوية، وعلاقات الجيرة والصداقة المتماسكة، لتحقيق بيئة متكاتفة في بناء مستقبلها، متعاقدون فيما بينهم على الحب الذي يزيِّنه الإحسان

(46) ديوان (حليمة والصوت والصدى)، ص: 51.
(47) وقد كان دأب الشعراء الرومانسيين في مصر والعالم العربي بشكل عام، اللُّجوء إلى القرية والتغني بجمال الحياة فيها، وما يرافقها من هدوء وسكينة، تتميز بها عن ضوضاء المدينة.
(48) ديوان (حليمة والصوت والصدى)، ص: 51.
(49) ديوان (بائعة الريحان)، ص: 32، 34.
(50) المصدر السابق، ص:45.
(51) نفسه، ص: 51.
(52) نفسه، ص: 52.
(53)ديوان (بائعة الريحان)، ص: 42، 44.
(54) المصدر السابق، ص: 60.
(55) نفسه، ص: 61

للآخرين، وأيام سعيدة ملؤها الفرح والتفاؤل لا يعتريها حزن أو ضيق، في حبور واحتفاء وتعاون يجعله أهل القرية شعارًا لهم، مع ود وألفة وانسجام في المناسبات، وكانت اجتماعاتهم تُعقد بعد صلاة المغرب، بعد عودتهم؛ لأنهم بعد كل فجر ينطلقون لأعمالهم من زراعة ورعي وبيع[56].

وكذلك كان من كمال أخلاق أهل القرية التعاون في أعمال الحرث والحصاد والبناء[57]، فيشارك الجميع في بناء المنازل و"الطِّينَة" التي يقومون فيها بسقف البيت بالخشب ورصف الطين فوقه[58]، وكان للأطفال مشاركة في تلك الأعمال التي يحبونها ولا تزال حاضرة في ذاكرة الشاعر. وظهر كذلك من صور التعاون، مساعدة أهل القرية للعجوز بائعة الريحان، حين فقدت زوجها وأصبحت لا تعرف عنه شيئًا، في وقت اشتدَّت فيه الرياح، وبيتها في قمة الجبل، تقول:

وجسدي تهزُّه ارتعاشةٌ غريبة..
وخطرتْ خاطرة رهيبة..
ووقف الطريقُ بي.. أو أنني وقفتُ بهْ..
وجاءني الخبر..
فزوجيَ الحبيبُ ماتْ[59]

فقد وصل إليها في أعلى الجبل؛ مَن أبلغها بخبر وفاة زوجها، "**وبعدها بدأت رحلة العناء**"[60]، وصارت بائعة تعمل لتكسب من أجل أن تعيش وتوفر لنفسها حياة كريمة، إن سكنها في أعلى الجبل يدل على علو ذاتها التي لا ترضى بالدنو، وكرامة نفسها التي تمنعها من سؤال الناس، وإنما تبيع:

الشِّيحَ والريحانْ..
وربما تبيع قرنَ مَوْزْ..
وربما قرنينْ[61]

وقد كنى الشاعر عن فقر تلك المرأة في بيعها قرن واحد من الموز أو قرنين فقط في اليوم؛ حماية لنفسها من ذل السؤال والحاجة.

يعد العنوان من أهم الوسائل الجمالية والدلالية في بناء النص، وهو عتبة الولوج إلى عالم النص، وفي قصيدة (بائعة الريحان) أتى عنوان واصف للقصة وأحداثها، مفصحًا بذلك عمَّا يختلج في صدر الشاعر من ألم لحال تلك العجوز المسكينة، فالعنوان للقصيدة يمثِّل المفتاح والمركز الذي تتجمَّع عنده الطاقة الشعرية، ومنها تتدفَّق إلى سائر أبيات القصيدة، حيث تشكِّل المُنطَلَق الجمالي للأبيات التالية[62]، وجاء العنوان بالمبتدأ الذي هو "بائعة" وأضافه إلى "الريحان" ثم ترك ذكر الخبر، ليفتح الأفق أمام ذهن المتلقي لتقدير ذلك الخبر المحذوف، وبما أن العنوان أول إشارة يرسلها الأديب إلى المتلقي، فإن الدور الذي يقع على المتلقي أن يُبحِر في فضاء النص ويجول بين أروقة الطبيعة، ليُعمِّق تلك المعاني الإنسانية العظيمة، ويرسِّخ القيم النبيلة التي أراد إيصالها إلى القلب بمخاطبة العقل والفكر، بأسلوب يكسوه الإخلاص وتعلوه الحكمة، على لسان شاعر مؤمن برسالته الإنسانية بل الدينية، التي تنكر ما تراه من مخالفات مستجدة، بسبب المدنية التي عمَّت الأنحاء. فقد أراد الشاعر من خلال القرية أن يوجه دعوة للالتزام الديني والانضباط الاجتماعي، برسم صورة دعمها بتوجيه تظهره القصيدة، وكان اختياره للقرية؛ لبساطتها ونقائها الذي يجذب كثيرًا من النفوس، فكانت مقر إقامة توثيق الشخصيات والأحداث.

إن مجال الشعر في العصر الحديث هو الشعور، والشاعر يثير ذلك الشعور في تجربة ذاتية يكشف فيها عن جانب من جوانب النفس، أو ينفذ من خلال تجربته ذات الطابع الاجتماعي لمسائل الكون ومشكلات المجتمع التي يُظهرها من ثنايا شعوره وإحساسه، لأن إثارة الشعور والإحساس في المتلقِّي يقوم بها الشعر معتمدًا على الوسائل الفنية في الصياغة، وتأليف الأصوات الموسيقية مع قوة التصوير؛ لتتراسل بها المشاعر، وهذه المشاعر تبث الأفكار في النفس عن طريق التصوير بالعبارات الموقّعة، ولأن لغة الشعر هي لغة

(56) نفسه، ص: 59.
(57) نفسه، ص: 59.
(58) نفسه، ص: 59.
(59) ديوان (بائعة الريحان)، ص: 54.
(60) المصدر السابق، ص:54.
(61) نفسه، ص: 30.
(62) شعرية المطالع عند المتنبي، بوعامر بوعلام، أ. دباش عبد الحميد، رسالة ماجستير بجامعة ورقلة، (2004م)، ص:4.

العاطفة، فهو يعتمد على شعور الشاعر بنفسه وبما حوله شعورًا يتجاوب هو معه، ليندفع فنيًّا إلى الكشف عن خبايا النفس أو الكون استجابة لهذا الشعور، وفي لغة هي صور[63].

إن القرية في القصائد المدروسة ليست خيالية صنعها خيال المؤلف بل أماكن حقيقية موجودة في الواقع، أظهر الشاعر أهميتها وسماتها الاجتماعية والنفسية، بطريقة موازية للواقع، حين وصف بدقة تلك القرى المعروفة، وطرقها التي سلكها قديمًا، داعيًا إلى تأمل ما طرأ عليها من تغيرات. إنه حين يوالي ذكر أسماء القرى في قصائده فكأنه يكشف عن تواصله بمشاعره مع تلك القرى المتعددة، ويثبت ويؤكد تميزها وتفردها عن بقية البلدان والأماكن، إن تلك الطرق القديمة تبعث في نفسه هدوءًا وراحةً رغم قسوة تلك الحياة والعناء الذي كانت تكابده النساء قبل الرجال، في قيامهن بأعمال الحياة اليومية.

المبحث الثالث: تأثير القرية على حياة الشاعر

ارتبطت القرية بأيام الطفولة وأحلامها الجميلة البريئة، وقد استخدم الشاعر القصائد التي تناولت القرية كأداة للتعبير عن حالاته الشعورية والنفسية، إنه في مقدمة ديوان (بائعة الريحان) يخبر بأن حنينه إلى طفولته الهادئة العذبة في حمى جبال بني ظبيان، هو سبب الألم النفسي الذي يشعر به بين فترة وأخرى[64]، فكشفت القرية عن حالة نفسية يعيشها الشاعر، قامت عليها جمله وعباراته وأسهمت في خلق علاقة حب قديم ومودة صادقة لقريته، جعلته يقف على آثارها آملًا اللقاء بأيامها الماضية، إنها مَن علَّمه الوفاء ومعاني الحياة الهادفة:

هذه الباحة الَّتي ألبستني من ثيابِ الوفاء خيرَ إزارِ
في رباها كحَّلتُ بالحُسن عيني وعلى أفقها رسمتُ مداري
علَّمتني جبالها كيفَ أبقى صاعدًا في مراتبِ الأخيارِ
علَّمتني صخورها كيفَ أبقى صامدًا رغمَ قوَّةِ التيَّارِ[65]

إنها أوَّل مكان رأته عين الشاعر، فتعلَّم من جبالها الراسخة القوية البقاء صامدًا رغم المشاق والصعاب، والمضي صاعدًا في مراتب العلياء، والشاعر ما زال مرتبطًا بقريته، وفيًّا مخلصًا لها، يقول عنها:

يومَ كانتْ قريتي هادئة يعرفُ الحسنُ لديها نَسَبَهْ
يا ربى الباحةِ ما زالَ لنا فيكِ شوقٌ، ما بلغنا أَرَبَهْ
فرَّقَ التّرحالُ فيما بيننا فاللِّقاءاتُ بهِ مُقْتَضَبَهْ
غيرَ أنَّ الحبَّ ما زال لنا نستقي منهُ ونرقى رُتَبَهْ
قد وهبناكِ وفاءً صادقًا هلْ يعودُ الحُرُّ فيما وهبَهْ؟[66]

وهذا الانتماء في وجدان الشاعر، دائم لا يزول، وشوقه إليها قائم ممتد وحبُّه أبدي، وإن كانت لقاءاته لها قصيرة وعلى فترات متباعدة، فإنه ينعم بالقُرب في تلك الزيارات، ومع شوق مشاعره يرغب النّهل من منبع قريته ليرتوي بين أروقة طبيعتها وروابيها، وذلك لأنه حر وقد هب حبه ووفاءه لقريته، والحر لا يعود في هبته التي يهبها لغيره.

وتعيش القرية مرحلة صراع بين القديم والجديد، ربما يظهر أثر هذا الصراع فيما يعتمل في نفس الشاعر من ألم دفين، عبَّر عنه في حواره مع بائعة الريحان:

بالأمس.. كانت الحياةُ هادئهْ..
وكانت النُّفوسُ هانئهْ..
واليومَ يا -بُنيَّ- مثلما ترى.. تقاربَ الزَّمنْ..
فالنَّومُ في وطنْ..
وقهوة الصَّباحِ في وطن..
تقارب الزَّمن..[67]

فالحياة المدنية أصبحت سريعة في كل شيء، لذلك خشيت منها بائعة الريحان فقالت:

(63) النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، (2007م)، ط:7، ص: 356، 357.
(64) ديوان (بائعة الريحان)، ص: 7.
(65) ديوان (بائعة الريحان)، ص: 12.
(66) المصدر السابق، ص: 17، 18.
(67) ديوان (بائعة الريحان)، ص: 38.

لكنَّني.. أحسُّ بالتَّباعدُ المخيف.. في أنفسِ البشرْ..
ما عادَ في القلوبِ نبضُها القديمُ.. وحبُّها العظيمُ..
تقاربَ الزَّمنْ.. والنَّاسُ يا بُنيَّ يلهثون[68]

لقد أصبحت الحياة مخيفة في ظل التباعد النفسي، وتتجلى قدرة الشاعر وإبداعه في رسم مواقفه وتجاربه الشعورية المستمدَّة من عمق حياة الناس اليومية، فالذين كانوا يعيشون الحياة الهادئة في القرية، أصبحت حياتهم متسارعة وتقاربت أزمانهم، وعبّر الشاعر عن ذلك بكلمة "يلهثون" لما أصابهم من تعب أعياهم بركضهم وراء الثروة واجتهادهم في جمع المال.

وقد أوجدت حياة المدنيَّة اختلافًا في عادات النساء، فقلَّ ذلك الحياء الذي كانت تتصف به النساء قديمًا، ربما يبدو ذلك لبائعة الريحان حين اعترضت على ابنتها لرؤيتها الرجل في التلفاز وهي غير محجبة، تقول:

ما كانَ في قريتنا تلفاز..
ولم نكنْ.. نشاهدُ الفتاةَ -يا بُنيّ- تكادُ تأكلُ الفتى..
ما كانَ في النِّساء هذه الوقاحَهْ..
يا ضيعةَ الحياءْ![69]

لقد رأت خطرًا من الحضارة المدنية وتحسرت لذلك حسرة شديدة المرارة[70]، فالنساء الطاهرات لا تشاهد الرجال ولا تنظر إليهم.

ويظهر البعد النفسي بين الشاعر وقريته، جليًّا بين الحركة والسكون فيها، ففي جدلية الحركة والسكون يتجلى البعد النفسي للشاعر، متلوِّنًا في حضور الأماكن التي تحمل صفات تحيل على واقعه. إنه يستدعي ذلك الواقع الجميل حين استحضر أسماء الأماكن والقرى في تلك المنطقة، رغبة في إثبات حبه لها بترديد أسمائها وملامحها وكل أثر تركته السنين فيها... فكيف أمكنه المزج بين سكون القرية مع حركة الحياة فيها! من الهدوء والسكون إلى التتابع والحركة، لقد جمع الشاعر بين المتناقضات، وهو ما يثبت حبه العميق للقرية بكل ما تحتويه من مفارقة واختلاف، يقول على لسان بائعة الريحان:

في بيتي الصَّغير..
ذقتُ لذَّةَ الحياهْ..
وذقتُ لذَّة الكفاحِ والتَّعبْ[71]

وتفاعل الشاعر مع قريته نتج عنه علاقة إلف وعشق في وجدانه ومشاعره، أثبت من خلالها صمود الإنسان فيها، فبالرغم من شدة وصعوبة الحياة فيها إلا أنها حياة سعيدة.

ولذلك يعتد الشاعر بنفسه التي قدرت على تحمل تلك الحياة بل التعود عليها وإلفها، في صورة حب جماعية بين أهل القرية، تجمعهم رابطة القوة والاتحاد والعمل الجماعي، ضد المصاعب للنهوض ضد مشكلات الحياة، فهم حين يبني أحدهم منزله يساعده جميع مَن في القرية من كبار وصغار،... وهذا تعبير نابض بالحياة وحب بناء الوطن، ماض يتذكر أحداثه شعرًا، ويحتفي به، كان يعيشه في طفولته، وكأن سكان القرية كلهم أهل يمارسون حياتهم وفق عاداتهم الطيبة. وقد حفلت القصائد في بنائها الفني بمجموعة من الصور الفنية التي منحتها بعدًا جماليًّا في وصف الطبيعة والحياة.

"إن القرية متشبِّثة بالجبل الكبير الشامخ، وتلتصق بيوتها مستأنسة ببعضها هربًا من وحشة المدنيَّة الحديثة، بل إن المزارع تحزن حين يدوسها الناس بعرباتهم"[72]، بعدما هُجرت، والبيوت ولبناتها تتحدث حديثًا حزينًا، إنها تجيد "الحديث الصامت أو الصمت المتحدِّث للتعبير عن الحزن"[73].

لكن الحقيقة الشعرية مختلفة عن الحقيقة الواقعية، فالشعر هو اللا واقع واللا حقيقة، لأنه مغاير ومختلف، والإنسان يهرب إليه بخياله باحثًا عن الحرية الفنية، متجردًا من قيود حاضره، فالشعر فن أدبي يمثل ملجأً للإنسان عندما ترهقه حقائق الواقع[74]. ومع أن المحاكاة الشعرية محاكاة للحياة، إلا إنها لا تنقل عالم الأشياء حرفيًّا كما هو عليه، لأن الشعر بألفاظه يخلق عالمًا موازيًا للحقيقة

(68) المصدر السابق، ص: 39.
(69) نفسه، ص: 46.
(70) ديوان (بائعة الريحان)، ص: 47.
(71) المصدر السابق، ص: 48.
(72) نفسه، ص: 55.
(73) نفسه، ص: 62.
(74) الخطيئة والتكفير، من البنيوية إلى التشريحية، د. عبد الله الغذامي، الطبعة الثانية (1412هـ، 1991م)، ص: 268.

لكنه لا يساويها. وإدراك الشاعر لعالمه وواقعه عملية إبداعية، يشكِّلها المبدع بخياله تشكيلًا جديدًا، ليصيغها في عمله الإبداعي[75]. والشاعر هنا مثَّل واقعًا مغايرًا وهبه خياله نبضًا حيًّا من عصره وبيئته، وأضفى عليها فنيات جمالية باقتدار وتمكُّن، ليبحر بنا في عالم النص. وقد ظهر موضوع القرية عند الشعراء المعاصرين، لتأثر نفوسهم بحياتهم التي يعيشونها، وبسبب الإطار الحضاري الذي عاصروه، ومعاناتهم من واقع تجربتهم التي وصلت إلى مستوى الاهتمام، لقد ظلت القرية حية في ضمائر أولئك الشعراء الذين نزحوا من الريف إلى المدينة، وعلاقتهم بالقرية علاقة وطيدة، فكانت القرية والمدينة تعيشان جنبًا إلى جنب في نفوسهم، وظهرت صور التناقض في نفوسهم نتيجة لما هو ماثل بين حياة القرية وحياة المدينة من تناقض، فيبقى الحنين إلى القرية ويبقى الموقف الجدلي الذي خلقته تلك التجربة في نفس الشاعر[76]، يقول:

يا رُبى الباحةِ، أجفانُ الهوى ناعساتٌ تتحاشى الجَلَبَهْ
ويدي يخضرُّ فيها قلمي وحروفي لم تزلْ مُغْتَرِبَهْ
تعِبَ المشتاقُ من أشواقِهِ فمتى يمحو التَّلاقي تَعَبَهْ[77]

فحُبَّ الشاعر "يتحاشى الجلبَهْ" ويبتعد عن الضجيج الذي تعيشه المدينة، وحروفه "لم تزل مغتربِهْ" تنشُد الراحة في هدوء القرية بعيدًا عن الضوضاء التي أتعبتها وجعلتها تشتاق لربى الباحة الرائقة الساكنة.

"إن التشكيل المكاني في القصيدة معناه إخضاع الطبيعة لحركة النفس وحاجتها"[78] والشاعر يقوم بتشكيل الطبيعة وفق تصوراته الخاصة في التعبير عن نفسه، والصور الشعرية في الغالب تكون غير واقعية وإن كانت منتزعة من الواقع، فليس من الضروري أن يكون عالم الوجدان مطابقًا لعالم الوقائع، لأن الشاعر يصنع نسقًا خاصًّا للمكان لم يكن له من قبل، يمثل حقيقة المكان النفسية[79]، وحياته الاجتماعية وعاداته الأخلاقية والدينية، وتميَّز الشاعر في رسمه بقدرة فريدة وعاطفة صادقة استطاع أن ينقل لنا من خلالها أحاسيسه وحبه وتعلقه بقريته، وشاعرنا يثبت حقيقة نفسية بأنه مهما ابتعد عن قريته وعاش خارجها إلا أنه مقيم بفؤاده ومشاعره فيها، بقوله:

أنا في هذه الرَّوابي مقيمٌ بفؤادي مهما يشطُّ مزاري[80]

فهو بعدما رحل عن قريته، يعيش في المدينة بوجدان القرية، لأن السر في تلك المسافات ليس الابتعاد وإنما التقارب الحقيقي في الحب الذي تحمله القلوب، وهذا الارتباط بالمكان فطرة أصيلة في الوجدان العربي منذ العصر الجاهلي، برزت في التراث الشعري خاصة في مطالع القصائد العربية ومقدمتها الطللية[81]. ويبوح لنا الشاعر عن سر ذلك فيقول:

شعرًا يعيشُ على أنغامه أملي ويقتلُ اللَّحنُ فيه الحزنَ والكَمَدا
يشدو به "حُزْنَةُ" العالي، وينقلُهُ لحنًا شجيًّا إلى كُلِّ الرّبوع "شدا"[82]

إنه يقتل حزنه بقول الشعر وشدوه عن ربوع قريته، لقد صوَّر حياته السعيدة التي قامت على الهدوء وبساطة العيش فيها على المدينة التي شكلت مصدر ألم وحزن وغربة. وكأن الشاعر يقدم سيرة ذاتية شعرية من خلال واقعه الذي عاشه في الطفولة، وتشاركه جبال المنطقة (حزنة) و(شدا) بألحان شجية حزينة متألمة، ويؤكد هذا المعنى حين قال:

يا شعرُ غرِّد على أيْكِ المشاعر في صدقٍ فقد يُؤْنِسُ التَّغريدُ مَنْ وجدا[83]

وقد بدا من خلال القصائد أن الشاعر يربط الماضي بالحاضر، وينوّع القوافي والأوزان، وهذا يؤكِّد قدرة الشاعر الإبداعية التي تمكَّنت من استيعاب تقنيات التجديد وجمالياته الحديثة[84] والجمع بين القصيدة العمودية وقصيدة التفعيلة، فيحاول أن يصل ذكرياته القديمة بواقعه الحديث، وقد ظهر ذلك في حرصه على ذكر المتناقضات، فأتت القرية حاملة قيم البداوة والبساطة في عاداتها

(75) مفهوم الشعر، دراسة في التراث النقدي، د. جابر عصفور، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، (1995م)، ص:241.

(76) الشعر العربي المعاصر، ص: 326- 329.

(77) ديوان (بائعة الريحان)، ص: 15.

(78) المصدر السابق، ص: 126.

(79) نفسه، ص: 127.

(80)ديوان (بائعة الريحان)، ص: 14.

(81) القرية والمدينة في الرواية الفلسطينية المعاصرة، إعداد: زاهي إبراهيم ناصر، إشراف الدكتور: علي خواجة، كلية الدراسات العليا، برنامج الدراسات العربية المعاصرة، (2006م)، ص: 51.

(82) ديوان (بائعة الريحان)، ص: 22.

(83) المصدر السابق، ص: 23.

(84) الاتجاه الابتداعي في الشعر السعودي الحديث إلى بداية التسعينيات الهجرية دراسة موضوعية وفنية، إعداد: محمد بن حمود بن محمد حبيبي، إشراف الدكتور: حمد بن عبد الله الزايدي، رسالة ماجستير بجامعة أم القرى، (1415هـ)، ص:400.

وتقاليدها ومعتقداتها الموروثة، وهي مع ذلك تنبع بالفرح والسعادة في هدوء وراحة نفسية، بينما كانت المدينة تشير إلى التحضُّر والتمدُّن وهي مصدر لألم الشاعر وشعوره بالغربة والوحدة[85].

لقد أضحى التقابل المكاني بين القرية والمدينة متأثرًا بالزمان وتطوُّره، فعقد مقارنة بين حياة عملية وهادئة في بيت صغير، وفرش متواضع ومحبة تلفّ المكان؛ بينما ظهرت المدينة في حياة مادية صاخبة، ومنازل كبيرة ومفارش وثيرة، ورفاهية في العيش مع تباعد بين القلوب.

الخاتمة

تناول البحث معالم القرية في ديوان (بائعة الريحان) للعشماوي، ومن خلال الوقوف على المعالم الحاضرة في قصائده، توصل إلى نتائج، من أهمها:

- تنوُّع البناء الإيقاعي في الديوان، فجمع الشاعر بين الشكل التقليدي (العمودي) للقصيدة العربية، وبين القصيدة الحديثة في شكلها الجديد (قصيدة التفعيلة).
- قام الشاعر بتوظيف إمكاناته في استخدام الإيقاعات المتعدِّدة لخدمة المعاني الوصفية المبتكرة.
- تفضيل الشاعر للقرية على المدينة من خلال الاستكانة والهدوء النفسي، والتفاعل مع الطبيعة في زمن عيشه بالمدينة.
- برزت القرية مكانًا حنونًا جاذبًا؛ خلافًا للمدينة التي شكَّلت مصدر قلق وأرق.
- مثَّلت القرية قيمة حقيقية وليس قيمة متخيَّلة، بما صوَّره الشاعر من إيثار وحب عميق لها وافتخار بها؛ وبذلك يمكن تصنيف الشاعر في انتمائه المذهبي وضمِّه إلى روَّاد المدرسة الرومانسية.

التوصيات

- توصي الباحثة بالإقبال على دراسة الإنتاج الأدبي للعشماوي، إثراءً للدراسات النقدية الحديثة في الشعر السعودي المعاصر.
- الإنتاج الإبداعي للشاعر يحمل موضوعات فنية حرية بالدراسة والبحث والتحليل.

قائمة المصادر والمراجع

- إبراهيم، حسين خليل (2020م) التكنولوجيا وتأثيرها في المجتمع العراقي، دراسة أنثروبولوجية للتغيرات في قرية داوود الحسن في بغداد، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية.
- ابن إدريس، عبد الله بن عبد العزيز (1978م) معالم الشعر السعودي المعاصر، دارة الملك عبد العزيز.
- إسماعيل، عز الدين، الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ط: 3، دار الفكر العربي.
- أمين، بكري شيخ (1978م) الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية، ط:2، مطابع دار صائد، بيروت.
- الحامد، عبد الله الحامد العلي (1402ه) في الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية، ط: 1، الرياض.
- حبيبي، محمد بن حمود بن محمد (1415ه) الاتجاه الابتداعي في الشعر السعودي الحديث إلى بداية التسعينيات الهجرية دراسة موضوعية وفنية، إشراف الدكتور: حمد بن عبد الله الزايدي، (رسالة ماجستير بجامعة أم القرى).
- الرَّاغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز.
- الرشيدي، فهد فريح (2009م) تجربة عبدالرحمن العشماوي الشعرية، إشراف: د. طارق المجالي، (رسالة ماجستير بجامعة مؤتة).
- السكوت، حمدي (2015م) قاموس الأدب العربي الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- سلامة، فاطمة البيومي محمود (2013م) عبد الرحمن العشماوي واتجاهاته الشعرية، مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة، المجلد الثالث، العدد32.
- الطيب، عبد الله، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها.
- العشماوي، عبد الرحمن (1415ه) ديوان (بائعة الريحان)، ط:2، مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية، الرياض.
- العشماوي، عبد الرحمن (1426ه، 2005م) ديوان (حليمة والصوت والصدى)، ط:1، مكتبة العبيكان.
- العشي، عبد الله (1430ه، 2009م) أسئلة الشعرية، ط: 1، منشورات الاختلاف، الجزائر.
- عصفور، جابر (1995م) مفهوم الشعر، دراسة في التراث النقدي، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- علا، عبد الرزاق (2018م) فضاءات التذكر المكانية وأوجاع الذاكرة في قصة "راشا".

(85) فضاءات التذكر المكانية وأوجاع الذاكرة في قصة "راشا"، د. عبد الرزاق علّا، مرجع سابق، ص: 109.

- بو علام، بو عامر (2004م) شعرية المطالع عند المتنبي، أ. دباش عبد الحميد، (رسالة ماجستير بجامعة ورقلة).
- الغذامي، عبد الله (1412هـ، 1991م) الخطيئة والتكفير، من البنيوية إلى التشريحية، الطبعة الثانية.
- ابن فارس، الحسين أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (1424هـ،2003م) القاموس المحيط، ضبط وتوثيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، إشراف مكتبة البحوث والدراسات، ط:1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
- ليسنج، دوريس (1440هـ، 2019م) سجون نختار أن نحيا فيها، تر: سهير صبري، ط:1، المركز القومي للترجمة، القاهرة.
- آل مريّع، أحمد علي (2009م) قراءة في فلسفة الحب عند الشيخ علي الطنطاوي، ط:2، دار المنارة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، جدة.
- مصطفى، إبراهيم، وآخرون (1972م) المعجم الوسيط، ط:2.
- ناصر، زاهي إبراهيم (2006م) القرية والمدينة في الرواية الفلسطينية المعاصرة، إشراف الدكتور: علي خواجة، كلية الدراسات العليا، برنامج الدراسات العربية المعاصرة.
- نصار، نواف (2007م) المعجم الأدبي، الطبعة الأولى، دار ورد للنشر والتوزيع، الأردن.
- هلال، محمد غنيمي (2007م) النقد الأدبي الحديث، ط:7، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.